فكر قوم نوح عليه السلام

- رسالة نوح عليه السلام
- موقف أكابر المجرمين
- اتهام باطل
- دعاء نوح عليه السلام
- سفينة نوح عليه السلام
- أدب النصر
- دروس فى قصة نوح

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ٢٣ – ٣٠.

رسالة نوح عليه السلام

قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٢٣.

تتحدث الآية الكريمة عن بعثة نوح عليه السلام، فقد أرسله الله إلى قومه..

وفى التعبير القرآنى «إلى قومه» ما يدل على أن نوحا عليه السلام لم يكن صاحب رسالة عالمية لا فى الزمان ولا فى المكان..

أما أنه ليس عالمى الرسالة زمانا فقد تعاقبت الرسالات بعده وتوالى الرسل حتى ختموا بسيدنا محمد ﷺ صاحب الرسالة العالمية زمانا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..

وأما أنه ليس عالمى الرسالة مكانا، فإن خطاب نوح لقومه يدل على خصوصيتهم بهذا النداء وبهذه الرسالة، وقد تكرر ذلك فى القرآن كثيرا، قال تعالى فى سورة يونس ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ الآية ٧١، وقال سبحانه فى سورة هود ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ الآية ٢٥، وقال جل شأنه فى سورة نوح ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾ الآية ١، فلم يتحقق عموم الرسالة زمانا

زمانا ومكانا إلا لسيدنا محمد ﷺ ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الأعراف الآية ١٥٨.

وكانت الدعوة التى وجهها نوح إلى قومه هى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام التى اتخذوها أندادا لله عز وجل، وقد تحدثت سورة نوح عن هذه الآلهة المزعومة فقالت ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ نوح الآية ٢٣.

وكانت هذه الأصنام فى بدء أمرها تماثيل لرجال صالحين، أقامها الناس تخليدا لذكراهم، فلما تقادم العهد وتطاول الزمن عبدت من دون الله، وبعث الله سيدنا نوحا يدعو إلى التوحيد الخالص وإفراد الله بالعبادة والتخلى عن هذه المعبودات الزائفة التى لا تملك من أمر نفسها شيئا ولا تملك لهم ضرا ولا نفعا.. فالله وحده هو الخالق المدبر المستحق وحده للعبادة..

وتعجب نوح من ضمور تفكيرهم وسخافة عقولهم وسوء صنيعهم، وتساءل معهم: أفلا تتقون؟ أى: أفلا تخافون ربكم المنعم ذا الجلال والإكرام؟! ألا تجعلون لأنفسكم وقاية من الهوان والصغار والذلة؟! ألا تستقيمون على الجادة وتضعون الأمور فى نصابها وتعرفون جلال الله وكماله؟!.

موقف أكابر المجرمين

قال الله تعالى ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٢٤.

فى كل جماعة من البشر أكابر مجرمون يقودون الأمة إلى المهالك، ويرفضون دعوة الحق والإصلاح، ويقيمون على العادة الجاهلية والتقليد البالى، وينتحلون الأكاذيب حول الدعاة ويلفقون التهم للأبرياء..

لقد رفض المستكبرون دعوة شيخ الأنبياء نوح عليه السلام بدعوى أن النبوة لا تكون لبشر، والعجب منهم كيف رفضوا النبوة فى البشر ورضوا الألوهية للحجر، لقد عكفوا على أصنام لهم اتخذوها آلهة دون الله يعبدونها ويقدمون لها القرابين..

وظن هؤلاء المستكبرون أن نوحا عليه السلام أتى برسالته يريد السلطة وينتزع الحكم منهم شهوة، ويقاسمهم المناصب والمغانم كبرياء وغرورا..

ولم يفهموا حقيقة النبوة وأنها اصطفاء الله لمن يشاء من عباده من أجل إصلاح البشر وبناء المجتمع والهداية للحق والانتصار للفضيلة والدعوة إلى الخير..

وزعموا أن النبوة فى البشر شىء لم يسبق، ولم يعهد فى تاريخ الإنسانية، وقالوا: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ المؤمنون الآية ٢٤.

وكذبوا على أنفسهم وشوهوا التاريخ وظلموا الحقيقة، فجميع الأنبياء بشر، اصطفاهم الله وصنعهم على عينه وجعلهم الإنسان الكامل..

ولم يعهد أن بعث الله ملكا رسولا، لأن الملك له خصائص تختلف عن خصائص البشر، ولا يقدر الناس على التعامل مع الملك فى صورته الملائكية، ولكى يمكن التعامل فلا بد من تشكل الملك بصورة البشر، وهنا يعود التساؤل ويتكرر الاستفهام: هل هو ملك أو بشر..

ولهذا قال الله تعالى فى سورة الأنعام ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ الآية ٩.

إن بشرية الرسل تأكيد لحسن القدوة وقرب المثل الأعلى، ودعوة إلى الترابط بين الراعى والرعية، والتآخى بين الحاكم والمحكوم على الحق وفى الحق وللحق..

اتهام باطل

قال الله تعالى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٢٥.

يواصل الملأ المستكبرون من قوم نوح عليه السلام الاتهامات الباطلة فيصفون نوحا بالجنون ويزعمون أن به مسا من الجن جعله يخلط الأمور ويتبوأ موقف القيادة لقومه ويدعو إلى الزعامة لنفسه..

وتنادوا بينهم أن حتفه قريب، وأن الموت يلاحقه بعد قليل، فمرضه عضال وأجله قد حان، وما عليهم إلا الصبر مدة يسيرة حتى يستريحوا منه..

والعجب أن هذه التهمة بالجنون لأنبياء الله تناقلها المستكبرون فى كل أمة من البشر، قالها فرعون لموسى: ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ الشعراء الآية ٢٧.

وقالها مشركو مكة لمحمد ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ ﴾ الحجر الآية ٦.

وهكذا مع كل نبى: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ الذاريات الآيات ٥٢، ٥٣.

وكيف يكون نوح عليه السلام مجنونا أو به جنة وهو الذى جادلهم وألزمهم الحجة وساق لهم البرهان وقدم لهم الدليل ووضح لهم الحق، وبين لهم الفضيلة ودعاهم إلى كل خير..

وقد صدر القرآن هذه الدعوة فى أكثر من سورة فقال فى سورة الأعراف ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ الآيات ٦١ – ٦٣، وفى سورة نوح تحدثت الآيات عن أساليب الدعوة وألوان الحجة وأنواع الدليل فقال جل شأنه ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾ الآيات من ٥ – ١٤، لكن القوم لم يستجيبوا للدليل ورفضوا منطق العقل وانتظروا صاعقة أو عذابا يستأصلهم واعترفوا لنوح بقوة الحجة ﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ هود الآية ٣٢.

دعاء نوح

قال الله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٢٦.

مارس نوح عليه السلام أساليب الدعوة واستنفد كل وسائلها فى مواجهة المستكبرين من قومه، وجادلهم وألزمهم الحجة، لكنهم نكسوا على رءوسهم واستهزأوا به قائلين: ائتنا بما تعدنا..

فلم يجد نوح بداً من دعاء يلجأ به إلى الله عز وجل أن ينقذه من مؤامرات قومه ودسائسهم وبهتانهم، وأن يهيىء للمؤمنين فرصة الحياة الآمنة المطمئنة كى يعبدوا الله بلا خوف، ويبنوا الحياة بأمل، ويعيشوا بمنهج الله..

﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٢٦.

وفى آية أخرى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴿١٠﴾ ﴾ القمر الآية ١٠.

لقد مضت سنة الله أن ينتصر لرسله ويؤيد دعوتهم وينشر الدين الصحيح، لكن بالجهاد والمجاهدة، والصبر والمصابرة، والبأساء والشدة، والابتلاء والتمحيص..

وليست قضية الإيمان مغنما ماديا للمؤمنين، أو شهوة سلطة توفر لأصحابها الأرائك والمآكل والمشارب..

إنها قضية الصدق والصديقين، إنها قضية الجهاد والمجاهدين، إنها قضية البأساء والشهداء.. لكى يميز الله الخبيث من الطيب، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين، وليعلم الله الذين صدقوا ويعلم الكاذبين..

وقد عبر القرآن عن ذلك بلفظ الزلزلة فقال ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ البقرة الآية ٢١٤.

كما عبر بلفظ الاستيئاس وهو استبطاء النصر فقال ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ يوسف الآية ١١٠، وعبر أيضا بلفظ الفتنة فقال ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ العنكبوت الآيات ٢، ٣، إن نوحا عليه السلام وصل إلى هذه المرحلة بعد أن عاش للدعوة ألف سنة إلا خمسين عاما وأيقن أن القوم متأصلون فى الإجرام والكفر وأن البيئة فاسدة تطحن كل خير وتئد كل فضيلة وتقاوم كل حق.. ولذلك دعا عليهم فقال نوح ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾ الآيات ٢٦، ٢٧.

سفينة نوح عليه السلام

قال الله تعالى ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٢٧.

استجاب الله دعاء نوح عليه السلام، وأوحى إليه أن يبدأ الطريق للنجاة من عذاب الاستئصال الذى حق على قومه.. فعلَّم الله نوحا صناعة السفن، وباشر نوح هذه الصناعة بعناية الله ورعايته.

وسبق القضاء الإلهى على قوم نوح أن يعمهم الطوفان، فتتفجر الأرض من تحتهم ماء، وتنسكب السماء مطرا، ويلتقى الماءان على هلاك هؤلاء الظالمين..

وجعل الله لنوح علامة لساعة التنفيذ، وهى أن يفور التنور، بمعنى أن الأرض تتفجر عيونا حتى يخرج الماء من مكان النار، فالتنور هو المكان المشتعل الذى يطهى فيه..

وعندئذ يحمل نوح فى السفينة الكائنات الحية ذكرا وأنثى، ويحمل المؤمنين بدعوته لأن الطوفان لن يبقى ولن يذر، وسيترك الأرض جرداء قاحلة، وسيهلك الحرث والنسل..

وكان هناك تنبيه إلهى لنوح عليه السلام ألاّ يشفق على الظالمين المستكبرين، وألاّ تأخذه رأفة عليهم ساعة هلاكهم، وأن يغض الطرف عن زوجه وولده اللذين رفضا دعوة الحق وآثرا الكفر وانضما إلى حزب الشيطان..

ونلحظ فى هذه الآية الكريمة أن صناعة السفن بدأت بنوح عليه السلام كما بدأت صناعة الدروع بداود عليه السلام في قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾الأنبياء الآية ٨٠.

وهذا يؤكد أن الصناعات بدأت بوحى إلهى ثم تواصل فيها الجهد الإنسانى وتطورت ومازالت فى تطور..

ونلحظ أيضا أن النسب إلى الأنبياء ليس بذى جدوى فى غيبة الإيمان وصدق اليقين ووفاء العهد، وهذا ما أكده الرسول ﷺ فى قوله «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» .

❁ ❁ ❁

أدب النصر

قال الله تعالى ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٢٨ - ٢٩.

علم الله نوحا عليه السلام آداب ركوب السفينة، وآداب استقبال النصر، وآداب الشكر على النعمة..

وقد امتثل نوح عليه السلام لهذا التعليم فقال لمن آمن معه- كما فى سورة هود: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ هود الآية ٤١.

ولما بدأت السفينة تمخر عباب الماء، وتسير فوق الطوفان، وتسلك سبيل النجاة فوق القمم العوالى قال نوح: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾. لكن إذا كانت البداية باسم الله، وكانت المسيرة قائمة على الحمد لله فإلى أين المصير؟!.

من هنا قال نوح: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

إن المستقبل فى رحم الغيب، ولم تكن هناك خطة بشرية لكيفية استئناف الحياة بعد الطوفان، ولهذا علَّم الوحى الإلهى نوحا عليه السلام أن

يلجأ إلى الله وحده كى تعمر الحياة ويستقر المؤمنون ويمارسوا دورهم فى البناء والحضارة.

وقد استجاب الله هذا الدعاء فقال كما فى سورة هود ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ ﴾ الآية ٤٨.

لقد حل السلام وعمت البركة على المؤمنين، وبدأوا مسيرة الحياة الطاهرة، لكن جرت السنة التى فطر الله الناس عليها أن تحصل تحولات فكرية وتغيرات عقدية ويتطاول العهد على الناس فينحرف البعض ويجادل فى الله بغير علم ولا سلطان مبين.. وستظل سنة المدافعة قائمة بين المؤمنين والكافرين، أمم تعلو وأمم تسفل، ومجتمعات تنهض ومجتمعات تتخلف، وفكر ينتشر وفكر يندثر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قال تعالى ﴿ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ ﴾ البقرة ٢٥١. وتكون العاقبة دائما هى النصر للمؤمنين الصادقين.. قال تعالى ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الروم ٤٧.

دروس فى قصة نوح

قال الله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٣٠.

الآيات هنا بمعنى الدلائل الواضحات، والحكم البالغات التى ينتفع بها العقلاء وتتوارثها الأجيال عبرة على مدى التاريخ..

ومن خلال القصص القرآنى لنوح عليه السلام ودعوته تنجلى الحقائق التالية:

أولا: إن دعوة نوح قامت على التوحيد الخالص لله عز وجل، شأنه فى ذلك شأن جميع الرسل..

وتلك قضية فطرية تتأصل فى العقل والقلب، فالكون والكائنات أثر من آثار قدرة الله وعلمه وحكمته، ومن المنطق أن يعبد الخالق وأن يقدس العالم الحكيم، وأن يخلص الإنسان قلبه وقالبه لذى الجلال والإكرام.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٢٣.

ثانيا: إن كبراء الفساد فى كل مجتمع يرفضون دعوة الحق ويأبون التخلى عن مفاسدهم ويتعقبون المصلحين بالتهم الباطلة ودعاوى الزور والبهتان.

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ المؤمنون الآيات ٢٤، ٢٥.

ثالثا: إن المصلحين دعاة الحق يصبرون ويصابرون ويتحملون البأساء والشدة ويواصلون الليل بالنهار لا يسأمون من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لقد مكث نوح عليه السلام فى قومه داعيا ألف سنة إلا خمسين عاما..

رابعا: إن الولاء لله والصدق فى الدعوة إلى الله يجعل المصلحين محل العناية الإلهية والتأييد الإلهى..

«قال رب انصرنى بما كذبون».

خامسا: إن نصر الله للمؤمنين وعد إلهى لا يتخلف، وله ميقات إلهى لا يخضع لمقاييس البشر الذين يتعجلون الأمور ويستبطئون النهاية ولهذا جاء فى سورة هود الآيات ٣٢، ٣٣ ﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

سادسا: إن التمكين للمؤمنين فى الأرض يعنى بركة الحياة، تلك البركة التى هى سر السعادة التى يحظى بها المتقون الأخيار، فيعيشون بلا عقد ويحيون بلا قلق، ويبنون الحياة بلا بغى ولا حسد..

قال تعالى فى سورة هود الآية ٤٨: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾.